



بعض ظواهر التخلف في دول العالم الثالث وعجز الإرادة التنموية

عازة عمر عبدالخالق بوغندورة. نداء صادق

قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة عمر المختار

Doi: <https://doi.org/10.54172/00k31p88>

المستخلص: يستعرض هذا البحث، الذي أجري بواسطة الدكتور عازة عمر بوغندورة والدكتورة نداء صادق من قسم علم الاجتماع في جامعة عمر المختار، ظواهر التخلف في الهياكل الاجتماعية ضمن دول العالم الثالث ونقص الإرادة التنموية. ويتأكد أن التنمية لا تقتصر على الجوانب الاقتصادية فحسب، بل تشمل أيضًا أبعادًا اجتماعية وسياسية، يتناول البحث تأثير العلاقات الاجتماعية والمؤسسات السياسية والقيم الثقافية على تقدم الإنسان. يبرز الباحثون أهمية التغلب على التخلف الاجتماعي من خلال التركيز على انهيار المقومات التنموية عند تعثر الطبقة التحديثية. ينقسم البحث إلى ثلاثة أقسام رئيسية: فحص النظريات النفسية والاجتماعية التي تساعد في تجاوز حالة التخلف، استكشاف إرادة التنمية لدى الجماهير، ومناقشة إرادة التنمية لدى النخبة.

الكلمات المفتاحية: التخلف، الهياكل الاجتماعية، إرادة التنمية، النظريات النفسية، النظريات الاجتماعية، التحديث، القيم الثقافية

Some Manifestations of Social Underdevelopment in Third World Countries and the Deficiency in Developmental Will

Aza Omar Abdulkhliq Bugundura. Nada Sadek

Department of Sociology - College of Arts Omar Al-Mukhtar University

Abstract: This research, conducted by Dr. Aza Omar Bughandoura and Dr. Nada Sadek from the Sociology Department at Omar Al-Mukhtar University, explores the manifestations of underdevelopment in social structures within third-world countries and the deficiency in developmental will. Emphasizing that development encompasses not only economic aspects but also social and political dimensions, the study delves into the impact of social relationships, political institutions, and cultural values on human progress. The authors highlight the significance of overcoming social underdevelopment by addressing the collapse of developmental foundations when modernization elites falter. The paper is structured into three main sections: examining psychological and sociological theories that aid in surpassing underdevelopment, exploring the developmental will among the masses, and discussing the developmental will within the elite.

Keywords: Underdevelopment, Social Structures, Developmental Will, Psychological Theories, Sociological Theories, Modernization, Cultural Values.

بداية لا بد من التأكيد على أن التنمية ليست عملية اقتصادية فحسب، ، من حيث توافر التراكم الرأسمالي ، وإنشاء المصانع ، رغم أهمية ذلك، بل هي عملية اقتصادية اجتماعية سياسية في آن واحد. أي أن العلاقات الاجتماعية والمؤسسات السياسية والاجتماعية والقيم الثقافية على قدر عال من الأهمية ، في مدى تأثيرها على تقدم العقل البشري والذي يعتبر كما أكد " كوندرسية " (...أساس تقدم الإنسانية.. فعن طريق تقدم القوة العقلية تتقدم الجوانب الأنسانية المادية لاجتماعية...)(1)

تبرز أهمية تخلف البنيان الاجتماعي ، ومدى تأثيره على التنمية من خلال انهيار ما تحققه بعض الدول من مقدمات تنموية بمجرد انهيار النخبة التحديثية ، يعود هذا الأمر - بالإضافة إلى أسباب أخرى - إلى أن التغييرات في البنية الاجتماعية والاقتصادية لا يرافقها - وبنفس القدر - تغيير في القيم السائدة ، حيث تقام الصناعات العديدة بعقلية زراعية ، من حيث انتظار سقوط الأمطار ، موسم الفيضان وتقام مزارع ومديريات الإصلاح الزراعي بعقلية الإقطاع..... إلخ.

بعبارة أخرى يعتبر من ضروريات تجاوز حالة التخلف وجود إرادة للتنمية لدى النخبة ولدى الجماهير على حد سواء ، وهذا ما سنحاول مناقشته في هذا البحث والذي قسم إلى ثلاثة أقسام أساسية :-

□ نتناول في القسم الأول أبرز النظريات النفسية والاجتماعية التي تساعد على تجاوز حالة التخلف.

□ نتناول في القسم الثاني إرادة التنمية لدى الجماهير.

□ نتناول في القسم الثالث والأخير إرادة التنمية لدى النخبة.

أبرز النظريات النفسية والاجتماعية :-

تؤكد هذه النظريات على أهمية العوامل النفسية والاجتماعية في أحداث التحولات الاجتماعية.

(أ) نظرية فيبر (دور الأفكار في التغيير) وضع " ماكس فيبر " Max Weber " نظريته بعد دراسة

أخلاق البروتستانت وروح الرأسمالية حيث رأى أن مجموعة من الأفكار الجديدة التي طرحتها النزعة

البروتستانتية هي المسؤولة عن الرأسمالية الصناعية في أوروبا ، وذلك بدعوتها لنبذ متع الحياة وتكريس الحياة للعمل والإنجاز والسعي الدائم لتحقيق القيم والمثل العليا المرتبطة بالأمانة والشرف والتشفير . وهذه الأفكار هي الأساس في قيام روح الرأسمالية التي تسعى نحو تحقيق الربح الأوفر . وهكذا تغير المجتمع الأوروبي في نظر "ماكس فيبر".

إن هذه النظرية قد ركزت في تحليلها على المجتمعات الأوروبية الغربية وتجاهلت باقي المجتمعات ، ويرى "فيبر" أن الأخلاق البروتستانتية وراء النمو الرأسمالي في حين أن هناك مجتمعات حققت هذا النمو دون أن تدين بالديانة البروتستانتية ، كذلك لم يشر " فيبر " إلى دور الاستعمار في تخلف معظم دول العالم الثالث ، وأيضا لم يكن موضوعيا وتحيز للمجتمعات الصناعية الرأسمالية الغربية .

(ب) نظرية ايفرت هاجن "Hagen" (الشخصية المجددة)

يربط " هاجن" بين طبيعة البناء الاجتماعي وبين نمط الشخصية ويرى أن البناء الاجتماعي لن يتغير إلا إذا تغيرت الشخصية . وتغير الشخصية يعتمد على عوامل نفسية واجتماعية كالأسرة والتنشئة الاجتماعية، ويرى " هاجن" أن المجتمعات التقليدية مجتمعات ساكنة تدعمها علاقات تسلطية وأنها لن تتغير إلا إذا ظهرت شخصيات ابتكارية لا تقبل ما هو موجود وتسعى إلى إيجاد الحلول للمشاكل القائمة ويسمي " هاجن"

هؤلاء بالمجدين "Innovators".

(ج) نظرية ديفيد ماكلياند " D.Macclelland " (المجتمع المنجز)

يتحدث " ماكلياند" عن التغير الاقتصادي ويرى ان المجتمعات التقليدية تحقق التغير إذا امتلك أفرادها الدافعية للإنجاز " Achievement Motivation " فإذا ساد بين الأفراد الشعور بالحاجة إلى الإنجاز فإنهم يحققون التغير ويركز " ماكلياند" على الإنجاز الاقتصادي الفردي الذي ينتج النمو الاقتصادي للمجتمع. ويعتقد أن الدافع مكتسب من التنشئة الاجتماعية ، وعلى المجتمعات التي ترغب في التغير أن تركز على اكتساب أفرادها هذا الدافع.

وقد أوضح "ماكلياند" الدور الإيجابي الذي تلعبه القيم في تشكيل الدافع للإنجاز ، فالمجتمعات التي تسعى لتحقيق التنمية والتغير عليها استبدال القيم التقليدية التي تقف عائقا أمام التنمية بقيم مستحدثة تواكب التنمية.

على الرغم من أن هذه النظريات النفسية قد نبهت إلى دور القيم والاتجاهات السلوكية للأفراد في تحقيق عملية التغيير والتنمية إلا أنها لم تسلم من النقد ، من هذه الانتقادات :- أن هذه النظريات قد انطلقت من فروض ضيقة النطاق وأغفلت النزعة البنائية التاريخية للمجتمعات. كذلك أهملت هذه النظريات النسبية الثقافية للتغيير بمعنى أن هناك فروقا واختلافات نسبية بين الثقافات والمجتمعات المختلفة ، أضف إلى أنه ليس من الضروري أن يكتسب ويتقصد أفراد البلدان النامية قيما تحقق التنمية فكثيرا ما يتم اكتساب قيم ليست هي قيم التنمية، كإكتساب القيم الاستهلاكية الحديثة والاستهلاك المبالغ فيه، إضافة إلى أنها ليست نظريات واقعية لأنها اعتمدت على الخيال التاريخي وتجاهلت الواقع البنائي التاريخي لدول العالم الثالث وارتبطت أكثر بالواقع الغربي وتحيزت له (2).

إرادة التنمية لدى الجماهير :-

تلعب القيم الثقافية السائدة دورا مؤثرا على نمط السلوك الاجتماعي والذي يسمى بالعادات والتقاليد ، وذلك من خلال ارتباطها بمواقف معينة مثل الادخار، الاستهلاك ، الاكتناز ، إنجاب الأطفال ، المكانة الاجتماعية ... إلخ. ويؤثر التعليم على هذه القيم الثقافية بالسلب أو الإيجاب، وقد عبر " آدم سميث" عن هذا التأثير (..بأنه يهذب غرائز الإنسان إضافة إلى أنه يسمو بالأخلاق.....)(3) .

فالتعليم وسيلة لتثبيت قيم ثقافية معينة ، وعليه لا يجوز النظر إليه فقط كوسيلة للحصول على الوظائف الإدارية، بل لابد من أن يكون هدفه كذلك تهيئة الإنسان لقيادة العملية الإنتاجية وذلك لا يتم بمجرد زرع العلوم التطبيقية والفن الإنتاجي، بل لابد أن يرافقه زرع الرغبة والإخلاص والمثابرة في العمل (4). أي لابد من تغيير القيم البالية حول العمل ومحاولة تطهيره بالتقديس والاحترام.

نحن هنا نحاول مناقشة بعض القيم الثقافية السائدة في المجتمع والتي تعتبر تبرير للسلوك السلبي الخاطئ ، فمثلا لدينا السلوك الاستهلاكي الترفي ، من حيث المبالغة في نفقات الزواج ، الوفاة ، الطقوس الدينية ، المباني السكنية الفخمة... إلخ(5).

هذه الأنماط الاستهلاكية ربما تعود إلى التقليد السائد في دول العالم الثالث حول ارتباط المنزلة أو المركز الاجتماعي للفرد بمقدار ثرائه المترجم بالاستهلاك البذخي الترفي.

ونرى أمامنا نظام العائلة الممتدة (تشمل الأب-الأم-الأولاد وأزواجهن أو وجاتهم - الأقارب أحيانا) ، وهذا النظام يفرض عادة المشاركة العالية في الاستهلاك دون الإنتاج ، ويترتب عليه توفير ضمان للعاطلين عن العمل ، إضافة إلى ابتلاعه ذلك الجزء من الرأسمال الذي قد يذهب إلى الادخار . ثم هناك عادة ترك الفرد لعمله بمجرد أن يتوفر له بعض الفائض من النقود، وهذا الأمر يعود إلى ما هو شائع بأن " القناعة كنز لا يفنى " (6).

ومما يؤكد الأمر ذاته حال الفلاح الهندي والذي لو افترضنا بأن لديه ثلاثة (3) أفدنة لسد حاجته وعائلته، فإنه قد لا يفكر في زراعة ستة (6) أفدنة أو أكثر ، لأن جل هدفه هو سد حاجته البسيطة دون زيادة (7).

إضافة إلى أننا لا نرى السعي الحثيث نحو العمل إلا ما ندر ، بل إن الكسل والالتكالية هو الطابع السائد لدى بعض دول العالم الثالث وربما تعود هذه الحالة إلى ما شاع ترديده " اشتغلنا ما اشتغلنا سيدنا الشيخ يوكلنا " .

نضيف إلى كل ذلك عادة الاستهانة بالوقت ، وعدم استثماره على أفضل وجه ممكن ، وقد يعود هذا إلى " إن فاتك عام اترجى غيره " (9) .

وأخيرا نحاول طرح مسألة موجودة بشكل كبير في دول العالم الثالث ، وهي سلبية التفكير والابتعاد عن النظرة الواقعية العلمية في حل الفرد للمشاكل التي تواجهه، حيث يلجأ إلى الروحانيات والغيبيات ، وأيكال كل الأمر إلى قوى غيبية ، وكما هو الحال في كل ما طرحناه سابقا من عادات وسلوكيات يرافقها تبرير ودفاع شاع استخدامه وكثرة القناعات فيه.

وهناك حالات أخرى تكشف بوضوح عن الترددي في البنيان الاجتماعي لدول العالم الثالث فمثلا يتم توزيع الوظائف العليا على أساس رابطة القرابة أو النسب ، دون أي اعتبار لمسائل مثل الكفاءة ، النزاهة ، الخبرة... إلخ (10) .

من كل ما تقدم تبرز لنا أهمية وحيوية آراء "ميردال" ودعوته لضرورة تغيير آراء السكان حول الحياة والعمل ، من أجل تحقيق التغيير والتنمية الشاملة (11).

ننتقل الآن إلى جانب آخر له أهميته ، من حيث كثرة الآراء المتناقضة حوله ، وهو العامل الديني فهل للدين دور مؤثر على عملية التنمية أم لا ؟

الحديث عن هذا العامل يقودنا للحديث عن " ماكس فيبر " باعتباره من أوائل المهتمين بمسألة الصلة بين الدين والاقتصاد ، وذلك من خلال تأكيده على أن الرأسمالية هي نتاج الروح الديني البروتستانتي⁽¹²⁾.

ومن خلال دراسته لتعاليم " مارتن لوثر " الإصلاحية توصل إلى "أن مفتاح التطور الاقتصادي ليس أسلوب الانتاج...ولكنه الاتجاهات السيكولوجية التي تشكل روح عصر تاريخي"⁽¹³⁾ . وهذا كله ينبع في نظره من أهمية التعاليم والأفكار التي جاءت بها البروتستانتية كنظام جديد للحياة . مثال ذلك تأكيدها ، أن المهنة واجب مقدس وكذلك التقشف، الزهد، النظام والرقابة الاجتماعية⁽¹⁴⁾.

واعتبرت الوقت هو المال ، الثقة هي المال، الموازنة بين الدخل والنفقات.....إلخ⁽¹⁵⁾ . وبدون الدخول في تفاصيل الأديان السماوية سواء منها الديانة اليهودية ، المسيحية ، الإسلامية نقول أن لكل دين تعاليمه لأنه دستور سماوي، نبتعد عن مناقشته ، فالديانة الإسلامية مثلا نشأت في ظلها حضارة عريقة وكبيرة طالما كان هنالك وعي بروح الإسلام ، ولما تدهور هذا الوعي والفهم انهارت الحضارة الإسلامية ، وحال الدول الإسلامية الآن هو التخلف . إذن المشكلة لا تكمن في روح التعاليم الدينية ولكن بما يمكن أن نسميه " التدين " باعتباره أسلوب لتفسير التعاليم الدينية وهذا يرتبط بشكل مباشر بمستوى التعليم والثقافة السائدة سواء منها العامة أم الدينية⁽¹⁶⁾.

إرادة التنمية لدى النخبة*

لو سلمنا بافتراض أن التنمية ما هي إلا قرار سياسي ، فهنا تكون الاختيارات أو البدائل السياسية مرتبطة بالهيكل الاقتصادي والاجتماعي وبهيكل السلطة للدولة المعنية ، وعليه متى ما كانت السلطة بيد فئات وطنية قومية ثورية أو فئات محافظة مثل كبار ملاكي الأرض ، التجارإلخ ، فإن السير في اتجاه التنمية من عدمه يتوقف أساسا - ومن بين عدة أمور - على الأيدولوجية المتبناة من قبل هذه الفئة أو تلك.

وانطلاقا مما تقدم قسمنا النخب في العالم الثالث إلى أربعة (4) أنماط قدر تعلق الأمر بالتنمية وهي كما يلي:-

* المقصود بها إرادة التنمية لدى قيادات العالم الثالث ،

والتي تشمل القيادة السياسية ، القيادة الإدارية ، والقيادة العلمية.

النمط الأول :-

يتميز بانعدام إرادة التنمية لديه ، ويعود هذا الأمر إلى عدم وعيه بجوهر التخلف، وهذا الأمر نادر جدا في عصر ثورة المواصلات ووسائل الاتصال المختلفة.

النمط الثاني :

ينشأ هذا النوع متى ما كانت السلطة بيد تحالف القوى المحافظة من كبار ملاكي الأرض، والتجار ... الخ ، مع احتمالية تبعيتهم لقوى أجنبية⁽¹⁷⁾.

هؤلاء لا يرغبون بتحقيق التنمية في بلدانهم لأنها تؤدي إلى الأضرار بمراكزهم الاجتماعية ومصالحهم السياسية الاقتصادية⁽¹⁸⁾.

سيما وأن مقدمات التنمية هي الإصلاح الزراعي الجذري ، والقضاء على الاحتكارات عن طريق سلسلة من التأميمات ، فأى مصلحة لهؤلاء في تحقيق التنمية ؟ لذلك هم بعيدون كل البعد عن احتمالية إحداث تحولات إجتماعية واقتصادية شاملة في بلدانهم.

النمط الثالث:

يتميز هذا النمط بقصور وعيه للأبعاد الحقيقية لعملية التنمية ، وهذا يعود إلى الأيدولوجية الخاطئة ، مع غياب النظرة العلمية ، ونقص التنظيمات الشعبية الفعالة ، بسبب التقليد الأعمى للغرب الاستهلاكي وليس لجوهر الغرب الحضاري المتقدم⁽¹⁹⁾.

وعبر " رونالد روبنسون" عن ذلك أوضح تعبير إذ قال :- " إن النخبة الحاكمة في الأقطار النامية ، هي نخبة شديدة الشراهة إلى استهلاك الدخل الوطني بدلا من استثماره"⁽²⁰⁾.

إن مظاهر الاستهلاك غير المتلائم مع عملية التنمية يظهر من خلال وجود الفنادق السياحية الفخمة ، وتأسيس خطوط طيران متقدمة ...مقابل استمرارية في تدهور المستوى الصحي والتعليمي والثقافي لأبناء البلد... إلخ.

النمط الرابع :

ويتمثل في القيادات الوطنية القومية والتي تأتي بعد معارك الاستقلال، أو بعد فشل الأنظمة المحلية في تحقيق التحولات الاقتصادية أو الاجتماعية لبلدانهم⁽¹⁷⁾.

وقد يضم هذا النمط فئات عديدة من المثقفين والمفكرين الثوريين والضباط ، والبرجوازية الوطنية لصغيرة..... إلخ.

وهؤلاء يؤمنون بالتحويلات الاجتماعية العميقة لبلدانهم ولديهم المجال مفسوح للعب دور هام في تقرير مستقبل أوطانهم ، سيما العسكريون ، وهذا يعود إلى أن المؤسسات السياسية تكون في طور التكوين ، والسلطة السياسية غير مستقرة على درجة كافية ، وبما أنهم - أي العسكريون - يملكون القوة العليا للضغط المادي المباشر ، فإن هذا الأمر يتيح لهم إمكانية التغيير بصورة أسهل من غيرهم⁽²²⁾.

الخاتمة :-

من خلال ما تقدم يمكننا القول أن معظم دول العالم الثالث ما يزال البناء الاجتماعي فيها يعاني من مشاكل عديدة ، تقضي بالنتيجة إلى وجود إرادات تنموية مشلولة غير قادرة على القيام بالمهام المنوطة بها ، سواء كانت هذه الإرادة نخبوية أو جماهيرية.

ولعل هذا الأمر يعود - مع عدة أسباب - إلى ضعف في وجود الشخصية الابتكارية الخلاقة المبدعة ، التي تؤمن بأن التنمية هي عملية ديناميكية ، مستمرة ، تقضي بالنهاية إلى ولادة حضارية جديدة ترقى بحياة الأفراد والشعوب إلى مستوى من التطور والتقدم لا تعرف بعده حالة التذني والركود والجمود التي كانت تعيش فيه.

لاحظنا أيضا في هذا البحث الموجز ، وجود قيم ، عادات ، تقاليد ، وتبريرات اجتماعية تشد إلى الأسفل ، وتجعل المجتمع بأسره غير خلاق، ولا يملك الشخصية التنموية القادرة على العمل المبدع.

لاحظنا أيضا وجود عجز واضح لدى بعض النخب الحاكمة في خلق جماهير تؤمن وعلى استعداد لأن تقتنع بأن التنمية إن لم تكن هي التضحية بجيل أو بعض جيل من اجل المستقبل الأروغد للأجيال القادمة ، فستظل حلما من أحلام اليقظة في دول العالم الثالث.

الهوامش :

- 1- عبدالباسط محمد حسن ، التنمية الاجتماعية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، جامعة الدول العربية ، 1970 ، ص 247 .
- 2- كمال التابعي ، تغريب العالم الثالث (دراسة نقدية في علم اجتماع التنمية) ، دار المعارف ، القاهرة ، 1993 ، ص 125-129 .
- 3- صلاح الجين نامق ، قضايا التخلف الاقتصادي ، دار المعارف ، القاهرة ، 1968 ، ص 132 .
- 4- ج.م. البرتيني ، التخلف والتنمية في العالم الثالث ، ترجمة زهير الحكيم ، دار الحقيقة ، بيروت 1969 ، ص 72 .
- 5- علي لطفي ، التنمية الاقتصادية (دراسة تحليلية) دار القرآن ، القاهرة ، 1987 ، ص 84-85 .
- 6- فاروق محمد العادلي ، المعوقات الاجتماعية للتنمية الصناعية بالتطبيق على بعض الاقطار العربية ، مجلة العلوم الاجتماعية ، الجمعية العراقية للعلوم الاجتماعية ، عدد 5 ، بغداد 1981 ، ص 85 .
- 7- علي لطفي ، مرجع سابق ، ص 124
- 8- فاروق محمد العادلي ، مرجع سابق ، ص 89 .
- 9- المرجع السابق ، ص 89 .
- 10- توماس سننث ، الاقتصاد للتخلف ، ترجمة فالح عبدالجبار ، منشورات الطريق الجديد ، ج1 ، بدون بلد نشر ، 1971 ، ص 53 .
- 11- بافلوف اوليانوفسكي ، اسيا تختار ، ترجمة دار التقدم ، موسكو ، بدون تاريخ ، ص 19 .
- 12- قباري محمد اسماعيل ، علم الاجتماع الاقتصادي و مشكلات الصناعة والتنمية ، دار الطباعة والنشر الطبي ، بغداد ، بدون تاريخ ، ص 497 .
- 13- مجموعة مؤلفين ، دراسات في التنمية الاجتماعية ، دار المعارف ، ط2 ، القاهرة ، 1977 ، ص 340 .

- 14- اوليفر .س. كوكس الرأسمالية نظاماً ، ترجمة ابراهيم كبة ، بغداد 1973 ، ص 93 .
- 15- عبدالباسط محمد حسن ، مرجع سابق ، ص 273 .
- 16- علي لطفي ، مرجع سابق ، ص 133 .
- 17- سيرغي ، ايفانوفتش ، توليانوف ، الاقتصاد السياسي للبلدان النامية ، ترجمة مطانيوس حبيب ، دار التقدم العربي ، دمشق ، 1974 ، ص 222 .
- 18- محمد احمد الدوري ، حقيقية عقبات التنمية في البلدان المتخلفة ، مجلة دراسات عربية ، عدد 11، لسنة 17 ، بدون ناشر ، بدون بلد نشر ، 1981 ، ص 38 .
- 19- محمد المجذوب ، الانماء والانظمة السياسية العربية ، مجلة قضايا عربية عدد 4 ، لسنة 6 بيروت ، 1979 ، ص 195 .
- 20- محمد احمد الزغيبي ، التغير الاجتماعي بين علم الاجتماع البرجوازي وعلم الاجتماع الاشتراكي ، دار الطليعة ، بيروت ، 1978 ، ص 147 .
- 21- عمرو محي الدين ، التخلف والتنمية ، بدون ناشر ، بيروت ، 1975 ، ص 134
- 22- ت . بوتومور ، النخبة والمجتمع ، ترجمة وجورج حنا ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1972 ، ص 108